المحاضرة السادسة (طلب العلم)

قال النبى صلى الله عليه و سلم " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة " رواه مسلم

و يقول صفوان بن عسال المرادى:

أتيت النبى صلى الله عليه و سلم و هو فى المسجد متكئٌ على برد له أحمر ، فقلت يا رسول الله إننى جئت أطلب العلم ، فقال صلى الله عليه و سلم (مرحبا بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها) رواه الامام أحمد و ابن حبان و الحاكم و قال صحيح الاسناد.

و قال تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات"

و رفع الدرجات يدل على الفضل و المراد كثرة الثواب فى الآخرة و دخول الجنة و فى الدنيا علو المنزلة و حسن العيش

و قال تعالى " وقل رب زدنى علماً"

هنا لم يأمر الحق تبارك و تعالى نبيه بطلب الزيادة من شئ إلا العلم " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ، و كما قال عز و جل "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ" فالتقوى و الخشية من صفات العلماء.

و كان بعض الحكماء يقولون :

"أى شئ أدرك من فاته العلم و أى شئ فات من أدرك العلم"

و قال النبى صلى الله عليه و سلم " فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم" ، ثم قال " إن الله و ملائكته و أهل السماوات و الأرض حتى النملة فى جحرها حتى الحوت ليصلّون على معلمّى الناس الخير" رواه الترمذى.

و فى حديث آخر " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب و إن العلماء ورثة الأنبياء و إن الانبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما"

✓ **الرحلة فى طلب العلم:**

قال تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"

فالعلم و الرحلة فى طلبه عبادة فى الاسلام يسهِّل الله به طريقا الى الجنة و لقد نهج علماء المسلمين هذا المنهج فى كل عصر.

- الامام البخارى : رحل من أجل العلم الى مكة و المدينة المنورة فى عصر لم تظهر فيه المواصلات السريعة و يقول : دخلت الشام و مصر و الجزيرة مرتين و الى البصرة أربع مرات و لا أحصر كم دخلت الكوفة و بغداد مع المحدثين و كتبت عن ألف و ثمانية ليس منهم إلا صاحب حديث

- ابن قاسم المصرى: يقول (أقمت بباب مالك سبع عشرة سنة ما بعت فيها و لا اشتريت شيئا ، فبينما أنا عنده إذا أقبل حاج من مصر ، فإذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك و قال: أيكم ابن القاسم فأشير إلى فأقبل يقبل عينى و وجدت منه ريحاً طيبة فإذا هى رائحة الولد ، و إذا هو أنثى و كان أبو القاسم ترك امرأته حاملا و كانت ابنة عمه و قد خيرها عند سفره لطول اقامته فاختارت البقاء

- قال حميد بن عبد الرحمن سمعت خطيبا يقول: " من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين " وإنما أنا قاسم و الله يعطى و لن تزال هذه الأمة قائمت على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله.

و قال ابن حجر: و هذا الحديث مشتمل على ثلاثة احكام :

1. فضل التفقه فى الدين.
2. أن المعطى فى الحقيقة هو الله (الفتح من الله عز و جل).
3. أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً.

- عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه و سلم " لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها".

- و عن أنس قال ، قال النبى صلى الله عليه و سلم " إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يثبت الجهل و يشرب الخمر و يظهر الزنا".
- و عن أبى برد عن أبيه قال ، قال النبى صلى الله عليه و سلم " ثلاثة لهم أجران:
  - رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه و آمن بمحمد صلى الله عليه و سلم.
  - و العبد المملوك الذى أدى حق الله و حق مواليه.
  - و رجل كانت عنده أمه فأدبها و أحسن تأديبها و علمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران.
- و المرأة فى حق التعليم كالرجل فعن أبى سعيد الخدرى قال ، قالت النساء للنبى صلى الله عليه و سلم غلبنا الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهم يوما لقيهن فوعظهن و أمرهن فكان فيما قال: " ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار ، فقالت امرأة : أو اثنتين؟ قال صلى الله عليه و سلم: أو اثنتين."

و عن أبى الواقدى الليثى رضى الله عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المسجد و الناس حوله إذ أقبل ثلاثة نفر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقبل اثنان فوقفا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أمّا الآخر فأدبر ذاهباً ، و أما احدهم فرأى فرجة فجلس فيها و أما الآخر فجلس خلفهم و أما الثالث فأعرض ذاهبا فلما فرغ النبى صلى الله عليه و سلم قال " ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى الى الله فآواه الله و أما الآخر فاستحى من الله فاستحيا الله منه و اما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه.

✓ **<u>أهمية العلم الشرعى:</u>**

إن العلم المعتد شرعاً هو العلم الباعث على العمل فروح العلم هى العمل قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" ، فلا بركة فى العلم إلا اذا تحول الى سلوك و عمل و منهج حياة و واقع عملى ، فلن تعود السيادة الى هذه الأمة الا اذا كان الاسلام نبراسا لها و واقعا عمليا معاشا فى ليلها و نهارها .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع إليه اهل النار : ما لك يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ؟ فيقول: بلا كنت آمر بالمعروف و لا آتيه و أنهى عن المنكر و آتيه"

العلم المعتد شرعا هو الذي يورث صاحبه الخشية من الله و يدفع صاحبه الى العمل ، يقول أبو الدرداء " إنما أخاف أن يقال لى يوم القيامة : هل علمت أم جهلت؟ فأقول : علمت ، فلا تبقى آية من كتاب الله آمرة أو زاجرة إلا و جاءتنى تسألنى فريضتها فتقول الآمرة : هل ائتمرت و تقول الزاجرة : هل ازدجرت ، فأعوذ بالله من علم لا ينفع و من قلب لا يخشع و من نفس لا تشبع و من دعوة لا تسمع "

كان النبى صلى الله عليه و سلم فى دعائه " أعوذ بك من علم لا ينفع و من قلب لا يخشع و من نفس لا تشبع و من دعوة لا يستجاب لها".

✓ **طرق تحصيل العلم (آداب تحصيل العلم):**

- التواضع بين يدى العلماء.
- ترك المعاصى : كما قال مالك رحمه الله تعالى للشافعى يوم أن جلس الشافعى بين يديه و حفظ الموطأ عن ظهر قلب و أعجب مالك بذكاء الشافعى و هو الشاب الصغير قال له مالك: يا بنى إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفأنه بظلمة المعصية.
- خطورة التعالم (ادعاء العلم): قال الزهرى عن خالد بن أسلم كنا مع عبد الله بن عمر فجاءه أعرابى فقال: يا عبد الله أترث العمة؟ ، فقال عبد الله بن عمر: لا أدرى ، فتعجب الأعرابى و قال" أنت تقول لا أدرى ! قال : نعم لا أدرى ، فاذهب الى العلماء و اسألهم ، فلما انصرف الأعرابى قبّل عبد الله بن عمر يد نفسه ثم قال لنفسه : نِعم ما قال أبو عبد الرحمن سُئل عما لا يدرى فقال لا أدرى.

و يقول الشافعى : صحبت مالكاً فسئل فى ثمانية و أربعين مسألة ، فقال فى اثنين و ثلاثين منها لا أدرى

و كان الشافعى حين يُسأل عن المسألة يسكت و يطيل السكوت فيقال له: ألا تجيب يرحمك الله ، فيقول: و الله لا أجيب حتى أعلم هل الفضل فى جوابى أم فى سكوتى.

- ✓ **آداب العالم و المتعلم:**

العالم الذى " يعلم و يعمل و يعلّم" فهو كالشمس تضئ لنفسها و لغيرها و هى مضيئة بذاتها و كالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب فى ذاته.

و الذى يعلم و لا يعمل بما يعلم كالدفتر الذى يفيد غيره و هو خالٍ عن العلم ، و كالمسَنّ الذى يشحذ غيره و لا يقطع و كالابرة التى تكسو غيرها و هى عارية .

- ✓ **من آداب العالم:**

1. الشفقة على المتعلمين و أن يجريهم مجرى نبيه قال النبى صلى الله عليه و سلم " إنما أن لكم مثل الوالد لولده".
2. النصح للمتعلمين بطريق التعريض " فى الزجر عن سوء الأخلاق" و لا يصرِّح ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة و يورث الجرأة على الهجوم بالخلاف و يهيج الحرص على الاصرار.
3. أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله.
4. أن يكون العالم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر و العمل يدرك بالأبصار و أرباب الأبصار أكثر
   علماء القوم يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد؟

- ✓ **من آداب المتعلم :**

1. أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا و يبعد عن الأهل و الوطن فإن العلائق شاغلة و صارفة ، و مهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحقائق.

2. أن لا يتكبر على العلم بل يلقى زمام أمره بالكليه إلى العالم ، و يذعن لنصحه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق و ينبغى أن يتواضع لمعلمه و يطلب الثواب و الشرف بخدمته .

3. أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحليه باطنه و تجميله بالفضيله و فى المآل القرب من الله سبحانه و تعالى و الترقى الى جوار الملأ الأعلى، و لا يقصد به : الرياسة و المال و الجاه و ممارة السفهاء و مباهاة الأقران.

✓ **السلف الصالح رضوان الله عليهم**

الجزاء من جنس العمل

يقول ابن جماعة الكنانى:

"ليعلم طالب العلم أن ذله لشيخه عز و أن خضوعه له فخر وتواضعه له رفعه و على طالب العلم أن ينظر الى شيخه بعين الاجلال و إن ذلك أقرب الى نفعه به ، وكان بعض السلف إذا ذهب الى شيخه تصدق بشئ و قال : اللهم استر عيب شيخى عنى و لا تذهب بركة علمه عنى".

أبن عباس رضى الله عنهما يقول" صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة يركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد : خلِ عنه يا ابن عم رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا يفعل بالعلماء و الكبراء"

قال ابن عباس: ذللت متعلماً فعززت عالماً.

الشافعى:

قال كنت أصفح الورقة بين يدى مالك صفحاً رقيقاً هيبةً له لئلا يسمع وقعها ، فلما تأدب الشافعى مع شيخه تأدب معه تلميذه الربيع بن سليمان فكان يقول: و الله ما اجترأت أن أشرب الماء و الشافعى ينظر هيبة له.

الإمام أحمد:

قال اسحق الشهيد : كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند الى أصل منارة المسجد فيقف يمين يديه : على بن المدينى و الشاذكونى و عمرو بن على و أحمد بن حنبل و يحيى بن معين و غيرهم يستمعون الحديث و هم قيام على أرجلهم

إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لأحدهم منهم اجلس و لا يجلسون هيبةً و إعظاماً قال الشافعى فى تواضعه للعلماء لما عوتب على ذلك

أهين لهم نفسى فهم يكرمونها و لن تكرم النفس التى لا تهينها